مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص 699- 718

عمارة الأضرحة الإسلامية بقصور عين صالح

Architecture of Islamic shrines in the ksour of Ain Saleh

د. محمد ساقني[*1]
[1] جامعة تمنراست (الجزائر)، sagueni.mahammed@univ-tam.dz

تاريخ الاستلام: 2022/06/22 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

تعتبر الأضرحة من المباني الدينية التي لقيت عناية كبيرة من قبل المسلمين تخطيطا وتصميما، وذلك تبعا لمكانة صاحب الضريح في مجتمعه، كالسلاطين والملوك والأولياء الصالحين ، ولعل أول ضريح في الإسلام ، هو القبة الصليبية في سامراء ، ثم انتشرت الفكرة في باقي مناطق العالم الإسلامي خصوصا لدى الفاطميين والمماليك وفي مناطق المغرب الإسلامي. وتشكل عمارة الأضرحة بالجنوب الجزائري تنوعا كبيرا في مجال العمران الإسلامي، بتنوع أنماطها وأشكالها وخصائصها من منطقة إلى أخرى، وتحتوي قصور منطقة عين صالح على رصيد معتبر من الأضرحة التي تنوعت من حيث تصاميمها وطرق بنائها فصنفت من المواضيع الأثرية الهامة للدراسة.

كلمات مفتاحية : عمارة، ضريح، قصور، الولي الصالح ، الزيارة ، عين صالح

Abstract:

Darihs are considered to be one of the religions buildings that have been taken into view by Muslims In terms of planning and designing ,depending on the position of the owner of the sacrifice in his society, such as sultans, kings , or Wali saleh. that first sacrifice in Islam is the salibiya dome in Samarra, and then the idea spread in the rest of the Muslim world.

The Architecture of the darihs in southern Algeria ,In the field of Islamic urbanization, has a wide range of styles, forms and characteristics from région to another. Kosurs Ain Saleh contain a large and considerable number of the shrines that varied in terms of designs and construction methods have made them important archaeological aspects of the study.

Keywords: Architecture, Darih, Qasr, El Wali Esaleh, Eziara, Ain Saleh.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتبر الأضرحة من أهم الأبنية التي شيدها المسلمون عبر مختلف مناطق الدولة الإسلامية، ولقد لقيت تعظيما كبيرا لارتباطها بأصحابها الذين كان لهم شأن كبير في حياتهم من ذوي المراتب و الجاه والسلطان وحتى الولاية ، ولقد عمد من جاء من بعدهم على تخليد ذكراهم و تذكر مناقبهم، فبنواْ على قبورهم أشكالا متنوعة من البناء بين البسيط و الفخم ، وبين المتصل ببناية أو منعزل عنها .

وتعتبر قبة الصليبية بسامراء أول نماذج الأضرحة الإسلامية المرتبطة بقبر الخليفة العباسي المستنصر،كما يعتبر الأتراك أول من اهتم بعمارة الضريح في العالم الإسلامي ومنه توالى البناء على القبور و توسع مجاله الجغرافي ، و لقد ورثت الجزائر ثقافة البناء على القبور و اتخاذ الأضرحة بالرغم من إشكالية عدم مشروعية البناء على القبر، إلا أنها كثرت وانتشرت في القرى والأرياف والصحراء ، حيث لقيت تعظيما و تقديسا بين السكان ، وتشتهر مدينة الجزائر بضريح عبد الرحمان الثعالبي و سيدي بومدين بتلمسان و سيدي بلخير بنواحي ورقلة ومولاي الرقاني بمنطقة رقان بتوات وسبعين صالح بن عزي بعين صالح .

تعتبر عمارة الأضرحة بالجنوب الجزائري ميزة وخاصية شملت أغلب القصور ، فلا يكاد يخلو أي تجمع قصوري من ضريح أو قبة، حتى انه أصبح ينعت لدى سكان القصور بحامي المدينة بالنظر للمكانة التي حظي بها، ولقد اخترنا أضرحة منطقة عين صالح - وهي إحدى مناطق الجنوب الجزائري - كعينة للدراسة نظرا لتنوع ظاهرة بناء الأضرحة فيها على قبور المشايخ، والعلماء والصالحين ،من خلال الإشكالية الأساسية للبحث وهي تعدد الأضرحة بهذه المنطقة و تنوع الخصائص العامة لها؟

الفرضيات: لعل هذا الموضوع يطرح لنا جملة من الفرضيات التي تصب في معالم مجال الدراسة وهي :

- أثر البيئة الصحراوية وانعكاسها على نمط الأضرحة القائمة على مبدأ التربيع و الهرمي .

- التنوع والاختلاف في أنماط الأضرحة في نفس الإطار الجغرافي مرده الى المقدس ذاته .
-استعمال مواد بناء محلية بسيطة مع تقنيات بناء بسيطة في أعمال البناء.

ويهدف هذا البحث إلى النقاط التالية :

- دراسة نماذج من الأضرحة المنتشرة في قصور عين صالح ، إحدى أهم المراكز الحضارية في الجنوب الجزائري .
- إبراز أهم الخصائص المعمارية و الفنية المعتمدة في هذه الطرز المعمارية
- الكشف عن جانب مهم من التراث المعماري الذي لم يلق عناية من طرف المختصين في مجال علم الآثار .

ولقد اعتمدنا على المنهج الأثري القائم على مبدأ الوصف و القياس و التصوير.

2. تعريف الضريح :

الضريح لغة مشتق من فعل ضرح و حسب ما جاء في لسان العرب يعرف الضريح بالشق في الأرض، و هو كذلك الشق في وسط القبر ، وقيل إن الضريح هو القبر (إبن منظور، دت،ص526).

أما اصطلاحا : فهو مدفن لشخصية مرموقة كالسلطان أو الملك أو الأمير ، وذلك ينطبق على أي شخصية يراد تخليد ذكراها بعد وفاتها (زغب،2008،ص21)، بحيث يحمل المعنى الروحي للفقيد فهو الرمز و الأسطورة فهناك العديد من المدن في العالم ارتبطت بشخصيات لها ضريح كما هو الحال عليه بالنسبة لضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، وسيدي الهواري بوهران (زغب، 2008،ص 22).ولقد تعدد مسميات الضريح من منطقة لأخرى تبعا لمعنى المصطلح في تلك الديار فسمي الضريح بالقبة (وزيري، 1999،ص79)، كما سمي الضريح كذلك لدى الأتراك بالتربة وتفيد المعنى ذاته وهو البناء على قبر الميت (قرمان، 2021، ص168)، وسمي لدى الشيعة بالمشهد و هو ذلك البناء الذي زيد فوق تربة المتوفى من المشايخ وذوي الجاه والنسب الشريف مهما كان جنس المتوفى من الإناث أو الرجال كما هو الحال عليه بالنسبة لمشهد السيدة رقية ابنة أمير

المؤمنين علي بن ابي طالب و الذي أمر ببنائه الخليفة الحافظ لدين الله في حدود سنة 527هـ 1132م (عبد الجواد،دت،ص176) .وسمي كذلك بالمزار و المقام و حتى الروضة خصوصا في الجنوب الجزائري ، حيث يكثر استعمال لفظتي روضة و مقام للمبنى الذي أقيم فوق قبر شيخ أو عالم جليل ، أو أحد الصالحين (ابو رحاب، 2008،ص371) .

3. نبذة تاريخية عن نشأة الأضرحة:

لقد اهتدى الإنسان إلى دفن موتاه منذ القديم ، و لعل أول حادثة دفن في تاريخ الإنسانية تلك التي حدثت بين الأخوين قابيل و هابيل ، فبعث المولى سبحانه و تعالى غرابا ليوصل فكرة دفن الميت ، حيث يقول تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (القرآن الكريم ، سورة المائدة،الآية 31) ، ومنه عرفت البشرية ثقافة دفن الموتى ، وتعظيم شأنهم ، ففي الفترات القديمة العائدة لفجر التاريخ كان الإنسان يدفن موتاه بكيفيات عديدة سميت بالتيمولوس و هي معالم جنائزية أصلها قبور مقاساتها بين المترين و 1.50م غطيت بأشكال مختلفة باستعمال الحجارة في الغالب ، فهي عبارة عن ركام حجري غير متناسق الأحجام ولها مسميات عدة ، منها التيمولوس والشوشات و البازينة وغيرها (شنيتي، 2013،ص 78). أما في الفترات القديمة فقد ظهرت مدافن أخرى جسدت نمطا جديدا من المقابر ، وهو ما يترجم الاهتمام المتواصل بالميت و قبره ،كونه الرمز الملموس خصوصا إذا ما كان صاحب القبر من الوجهاء أو الأمراء كأهرامات الفراعنة الذين اتخذو الأهرامات مقابر لملوكهم تعظيما لمكانتهم (زغب،2008،ص21) وقد مثلت هذه الثقافة في الجزائر ايضا في كل من ضريحي مدغاسن بالقرب من باتنة والضريح الملكي الموريتاني المدعو قبر الرومية بالقرب من مدينة تيبازة (شنيتي، 2013،ص 80)، إضافة الى ذلك ظهرت فكرة أخرى للدفن في الفترات القديمة ممثلة في المصاطب « Dolmens »وهي عبارة عن ألواح حجرية في شكل غطاء ، تكون بارزة فوق الأرض يوجد منها الكثير بالجزائر خصوص في ڤالمة إذ بلغ تعداده 3000 قبر ، وحوالي

1000 قبر في ضواحي قسنطينة (شنيتي، 2013،ص82)، ويعتبر ضريح ملكة التوارڤ تين هينان ببلاد الهڤار من أهم نماذج هذه الأضرحة العائدة إلى الفترات القديمة بالجنوب الجزائري وشبيهة إلى حد كبير بالضريح الملكي الموريتاني بتيبازة، غير أنه أقل حجما فمقاساته هي : 75 .26 م X و 23.24 م ، ويبلغ ارتفاع البناية حوالي 2م (BADI, 2004,p36) .

أما بالنسبة لأضرحة الفترة الإسلامية فتعد الأضرحة من أهم المباني التي لقيت اهتماما كبيرا من طرف المسلمين في المشرق الإسلامي و في مغربه ،حيث عمدوا إلى تشييدها و الاهتمام بمظهرها وتصاميمها و زخرفتها ، فقد ظهرت لأول مرة في المشرق الإسلامي بالتحديد في العراق ممثلا في القبة الصليبية التي يعود تاريخ بنائها إلى حوالي 248هـ/862م (عبد الحافظ، 2005،ص117) ومن بين أشهر الأضرحة في التراث في الفترة الإسلامية ضريح تاج محل ، والذي شيده الإمبراطور شاه جهان لزوجته ممتاز محل في حدود 1058/1039هـ (سامح، 2000،ص08). ويعتبر ضريح الإمام الشافعي من أهم أضرحة الفترة الإسلامية ، شيده السلطان الكامل الأيوبي سنة 1211م (ثروت، 1994،ص 198).كمايعتبر ضريح تيمور لنك (جورأمير) من أهم الأضرحة الإسلامية المبكرة ، بناه السلطان محمد لحفيده تيمورلنك سنة 1403م ويعد هذا الضريح من أجمل الأضرحة الإسلامية تخطيطا و زخرفة (عبد الحافظ، 2005،ص 193). ومن بين أضرحة الفترة الإسلامية المبكرة مشهد السيدة رقية ، ابنة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ابنة الخليفة الحافظ لدين الله سنة 527هـ/1132م (عبد الجواد،د.ث، ص176)، وفي هذا الشأن يقول الباحث حامد سعيد (... لوزرت مقام السيدة رقية مثلا ، وهو تحفة معمارية جميلة من العصر الفاطمي ،ضريح جميل أقيم إحياء للسيدة رقية ...ويقول أيضا : بل فيه الأنس و اللطف الذي يليق بمقام سيدة) (حامد،2001،ص93). ولقد حرص حكام بلاد الهند قبل عصر المغول على اقامة القباب فوق مقابرهم مثل ضريح محمد شاه و

قبة السلطان التمش ثاني حكام دولة المماليك في الهند في حدود 633هـ/1235م .(أحمد رجب، 2004،ص30)

ولقد اهتم حكام بلاد المغرب ببناء الأضرحة و المقابر ذات الأهمية الكبيرة كونها تخص أسلافهم وخلفاءهم (السعديين) ،وتعد فيه قبة البارودیین المرابطية المجاورة لجامع ابن يوسف بمراكش من أقدم النماذج ،كما بنى عبد المؤمن بن علي روضة بمسجد تنمل على قبر المهدي بن تومرت ، واتخذ المرينيون قباب أضرحة لهم بمدينة فاس ،كما بنى السعديون العديد من الأضرحة بمراكش (ابو رحاب، 2008،ص371).

كما اشتهرت سمرقند بأضرحتها واشتهرت مدافن ثازندة بمدينة الأموات في العالم ،يوجد بها أفخم الأضرحة وهو المعروف "**باسم غورامير**" الذي بني حوالي 1490-1504م (أرنست، 1966،ص 88).

تحظى الأضرحة بهذه المناطق باحترام خاص ، فعندها يأتي الزائرون للتبرك مثلما أشار إليه العياشي حيث قال(...و زرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حيا و ميتاً...) (العياشي، 2011،ص38)، وتنتشر ظاهرة بناء الأضرحة بمناطق توات بحيث ترتبط بالصالحين ، وتقام لهم ذكرى سنوية تعظيما لمناقبهم فهم عباد الله و زيارة أضرحتهم فيها العبر (بلعالم، 2011،ص553).و لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته ذلك الاهتمام بالضريح في بلاد مصر قائلا(... ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك ...)و يوضح ذلك وبقرافة مصر من قبور العلماء و الصالحين ما لا يضبطه الحصر ، و يصف الأضرحة قائلا(...وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة و يحعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويبنون بها البيوت ...) (ابن بطوطة، 2011،ص24)

4. مكانة الضريح في المجتمع :

يسعى الإنسان دوما إلى محاولة الاحتفاظ بحياته بشتى الوسائل ، و لكن للأسف الحقيقة الأكيدة ، هي أن الموت و الفناء أمر واقع ، لذلك نجد أن الإنسان يسعى لإيجاد حلول نعتبرها ترقيعية من أجل بقائه و خلوده في الدنيا ، فبدأ الاهتمام بالموتى و القبور

حتى بات للقبور أهمية كبيرة يسعى الأحياء من البشر إلى تخليد مآثر سابقيهم من خلال البناء (زغب، 2008،ص21)،فأصبح للقبور دلالات رمزية، ويرتبط الإنسان بالرموز ارتباطا وثيقا، فهو كائن رمزي بالضرورة وذاك نوع من التفاعل الإنساني المجسد من خلال ممارسات وطقوس و عادات توارثها أفراد المجتمع (العطري، 2014،ص25) كذلك نجد أن هذا المجتمع يعبر عن رموزه بأشكال و ممارسات طقوسية كالاحتفالات بالأضرحة، حتى أضحت من الأعياد السنوية و رسخت ضمن عادات وتقاليد المجتمع التي تعد تجربة مقدسة لدى أفراد المجتمع (العطري، 2014،ص27). و قد ارتبطت العديد من المدن بالأضرحة كما هو الحال عليه بمدينة كربلاء و مدينة الجزائر التي اقترنت بسيدي عبد الرحمان الثعالبي، ومدينة وهران التي اقترنت بضريح سيدي الهواري (زغب، 2008،ص22) وورقلة بسيدي بلخير. ولقد ارتبطت الأضرحة بما يعرف بالمقدس و الذي ارتبط كذلك بالظاهرة العمرانية في اتخاذ القباب و البناء المختلف الأشكال فوق القبور في القرى و الأرياف إظهارا لمكانة أصحابها من شيوخ و أولياء امتازوا عن غيرهم في مجتمعاتهم بكثرة عبادتهم و زهدهم منعزلين في خلوات (نابتي، 2008،ص16) اكتسبت هذه الأخيرة القيمة الكبيرة بعد رحيلهم، لذلك لجأ من بعدهم إلى محاولة إحياء قيم و أفكار هؤلاء باتخاذ القبة و المشهد و الروضة و المقام كرمز للفقيد و سلطانه ومحاولين تعويضه برمز يقف أمام الجميع الذي ينعت في قصور توات بالشيخ، بحيث يعتبر هذا الأخير حاملا للبركة أو وليا صالحا أو عالما شهيرا كسيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر و سيدي بلخير بورقلة (عاشور، 164،2017) و مولاي الرقاني برقان و سبعين صالح بن عزي بعين صالح.

لقد حرص الدين الإسلامي على دحض جميع أشكال الشبهات، وقد حثت تعاليمه على تسوية القبر بالأرض، غير أن المسلمين لم يحترموا ذلك ،و عمدو اإلى الزيادة فوق القبر من أشكال البناء المختلفة والطلاءات،تعظيما لأصحاب المراتب (زغب، 2008،ص21)

وأدخلوها في صفة القداسة، فهي حسب اعتقادهم جالبة للخير و دافعة للضرر ، وذلك ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية لأن الضرر و النفع لله وحده.

وقد يتساءل البعض عن جدوى هذه الأضرحة وما يصاحبها من رمز و ممارسات و طقوس سنوية، بالنظر إلى مشروعيتها أو عدمها فالأهمية الموجودة هنا هي أن الأضرحة تحمل رؤى مختلفة وأساطير وكرامة تتداولها الثقافة الشعبية و تتوارثها الأجيال، فمن خلال المناهج العلمية يمكن الاستفادة مما تتداوله الروايات الشفاهية حول هذه الظاهرة (زغب، 2008،ص22). ويوجد في واحات عين صالح عشرات الاضرحة المنتشرة في اغلب قصورها نذكرمنها: ضريحي سيدي عثمان وسيدي علال وضريح سيدي إبراهيم بحي الجديد، وضريح سبعين صالح بن عزي ومولاي اليزيد الرقاني وضريح مولاي أمحمد وضريح سيدي إبراهيم وضريح السيدة لالة النايرة بحي أقبور، وضريح سيدي بلحي وضريح سيدي بوعمامة وسيدي ولد أحمد بحي أولاد الحاج، وضريح سيدي بلقاسم بحي الزاوية وضريح مولاي هيبة و ضريح سيدي محمد عبد الوهاب بحي البركة بالإضافة إلى ضريح الولي الصالح سيدي باسة بالساهلة الغربية، وضريح سيدي الحاج أمحمد بالساهلة الشرقية، وضريح مولاي احمد بمنطقة حاسي لحجار، وضريح الشيخ الطالب علي بمنطقة إيقسطن، وكذا ضريح مولاي عبد الله بفقارة العرب و ضريح سيدي مهي، وضريح سيدي الحاج موسى وضريح سيدي بودواية وضريح الحاج محمد وضريح سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بمنطقة فقارة الزوى وضريح مولاي الطيب بلمشيش بمنطقة إينغر. ولعل النماذج المختارة للدراسة تلم بأغلب خصائصها ومميزاتها .

4. نماذج من أضرحة قصور عين صالح:

تعد منطقة عين صالح من أهم مناطق إقليم توات الكبير و الذي يضم العديد من أنماط العمائر الجنائزية (الأضرحة) على غرار مناطق الجزائر ضريح ،مقام ،روضة ،قبة مسميات مختلفة لنفس المبدأ رمز الولي الصالح، فنجد أن كل قصر في توات محروس

بولي، فهو الحامي من شتى أنواع الشرور ومن الحسد ومن الغارات وحتى من نكبات الطبيعة (سعد الله، 2007،ص263).

تحتوي منطقة عين صالح على العديد من الأضرحة المختلفة الطرز عبر كامل قصورها، وبطبيعة الحال تنوعت أشكالها و أدوارها لعدة عوامل منها البيئية كما هو الحال عليه في توات الوسطى (تيمي) والقورارة، إذ نجد الطراز الهرمي أكثرها انتشار وهناك ما جاء بالشكل المربع، وهناك ما كان عبارة عن تذكار كما هو الحال عليه بالنسبة لتذكار سيدى عبد القادر الجيلالي بحي أقبور،

1.4 ضريح سبعين صالح بن عزي:

1.1.4الموقع الجغرافي :

يقع ضريح سبعين صالح بن عزي في حي أقبور قصر الرابطين بعين صالح، إحداثياته الجغرافية 27° درجة '11 32 شمالا و 2° درجة '28 41 شرقا، يحده من الجنوب و الشمال بيوت سكنية، و من الشرق مدرسة قرآنية، و من الغرب يلتصق في جزء منه بمسجد أولاد بلقاسم.

و قد أخذ الضريح تسميته نسبة إلى سبعين فردا من الغزاة تحولوا من غزاة إلى رجال صالحين، وبذلك أطلقت عليهم تسمية سبعين صالح بن عزي. انظر (الصورة رقم01)

الصورة رقم 01: تبين ضريح سبعين صالح بن عزي بعين صالح

المصدر: عمل الباحث

2.1.4التعريف بصاحب الضريح:

ينتسب صاحب الضريح إلى أهل عزي وهم فرع من عرش المرابطين، أبوه سيدي محمد العنبري صاحب القبة المشهورة بفنوغيل بتوات الوسطى، ينحدر من سلالة محمد بن الحنفية بن علي كرم الله وجهه ،برز لقب عزي بفتح العين و تضعيف الزاي بالكسر ، وذلك لتسهيل النطق محليا. نشأ حيث كان أبوه بقرية بفنوغيل وعاش في القرن 9هـ/15م، و بعد ظهور كراماته حثه أخوه عبد الرحمن بالتوجه إلى قصور عين صالح ليعمر فيها، فاستقر بها ورزق بأربعة ذكور و هم: بوبكر وسيدي ابراهيم، سيدي بوزيان وعبد الله. (عباس،2007،مقابلة).

3.1.4 الوصف العام للضريح:

المخطط العام لضريح سبعين صالح بن عزي عبارة عن كتلة معمارية مستطيلة الشكل، مقاساته من الناحية الشمالية 6.15م ليتقلص من الجهة الجنوبية بحوالى 4.10م، أما طول الواجهة الشرقية 15.20م، أما واجهته الغربية فتبلغ حوالى7.23م، بنيت جدرانه بقوالب الطوب بحيث يصل سمكها حوالى 0.44م،أما الارتفاع فيتراوح بين2م و 2.50م أما ارتفاع الضريح القبة الرئيسية المخروطية الشكل فيصل الى 5.10م عن قبة مخروطية ، تتوج جدران هذا الهيكل المعماري شرفات بسيطة .

ينفتح مدخل الضريح بالواجهة الشمالية وهو بتماس مع مئذنة المسجد المجاور، يبلغ طوله 1.64م بعرض0.80 م، يتم الدخول للمجمع الجنائزي عبر07 درجات، حيث نجد الضريح مقسما إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول ملتصق بجدار المسجد، وبه فضاءان، الأول عبارة عن فضاء مكشوف يطل على الجهة الشرقية، يوصل إلى الفضاء الثاني وهو غرفة التابوت المفتوحة كذلك على فضاء مكشوف .

أما القسم الثاني المقابل لباب الضريح الخارجي، وهو مكون من خمس فضاءات منها ثلاث في المقدمة والأخر ملتحم مع إحدى غرف(فضاءات) القسم الأول، يحتوي كل منها على قبر، ماعدا الفضاء المقابل للمدخل. أما القسم الثالث فهو عبارة عن خمس

فضاءات مكشوفة مقاساتها بين 2.45 م على 3.66م بكل منها قبر ،باستثناء الفضاء الشرقي فهو عبارة عن فضاء مستطيل مقاساته بين 7.22م على 3.10م يوجد بجانبه فضاء آخر له نفس المقاسات تقريبا، يزين أعلى جدران هذا الضريح شرفات بسيطة تعلوها كرات ثلاث من الطين بعضها فوق بعض، تختلف نوعا ما عن تلك الموجودة في الجدار الخارجي . انظر (الصورة رقم 02) وانظر (الشكل رقم 01)

الصورة رقم 02: تبين الفضاءات المفتوحة بضريح سبعين صالح بن عزي بعين صالح

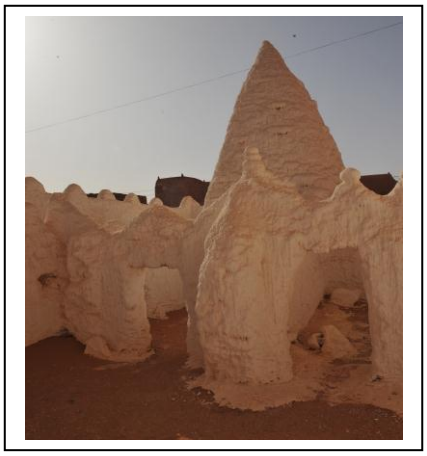

المصدر :عمل الباحث

أما الغرفة الجنائزية فتوسط المجمع المعماري بمنتصف الجدار الجنوبي يتم الدخول اليها عبر مدخل قصير 1مقاساته بين 1م و0.50م، يوصل هو الآخر إلى باب الغرفة الجنائزية، يبلغ ارتفاعه حوالى 1.10م، وعرضه 0.75م، يوجد تابوت خشبي بوسط الغرفة يصل طوله إلى 2.07م له شاهدان من حجر، غطي بهيكل من الحديد تم تكسيته بقماش حريري يحمل زخارف مطرزة على أرضية بيضاء و خضراء، كما فتحت في هذه الغرفة ثلاث فتحات مستطيلة الشكل، للتهوية و الإضاءة بكل من الناحية الجنوبية ، وكذا الشرقية، كما زودت أركان الجدران بقواعد حجرية تؤدي دور الدعامات الركنية تساعد في تقوية السقف الهرمي للغرفة، أما مادة البناء المعتمدة فهي الطوب وقطع

الجبس والملاط الطيني، كما تخلو الجدران الداخلية من الزخارف . انظر (الصورة رقم 03)

الصورة رقم 03: تبين تابوت ضريح سبعين صالح بن عزي بعين صالح

المصدر: عمل الباحث

الشكل رقم 01: يبين مخطط ضريح سبعين صالح بن عزي بعين صالح

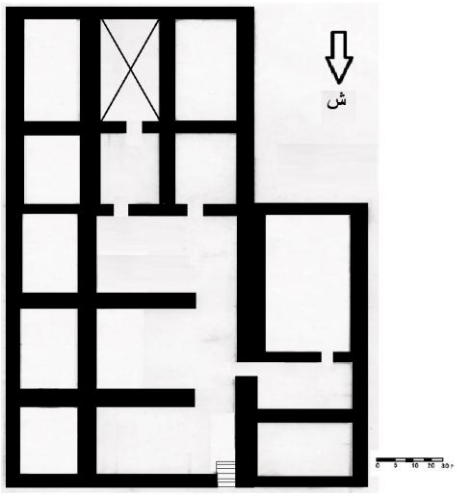

المصدر: عمل الباحث

2.4 ضريح سيدي بلقاسم :

1.2.4الموقع الجغرافي:

يقع ضريح سيدي بلقاسم بقصر الزاوية العتيق إحداثياته الجغرافية 27° 12' 48 شمالا و 2°13'28 شرقا اما الارتفاع فهو 2.87م، تبعد الزاوية عن القصر العتيق قصر

العرب بحوالى 02كلم، يوجد الضريح بالجهة الشرقية لمقبرة القصر القديمة بجوار سورها الشرقي والمحاذي للمسجد، تضم المقبرة كذلك أحفاد الشيخ سيدي بلقاسم، وسكان الحي، يحيط بها سور فتحت به أربعة مداخل تسمح للمارة باجتيازها والوصول إلى الضريح.

2.2.4 التعريف بصاحب الضريح:

تعود تسميته بسيدي بلقاسم نسبة إلى زاوية سيدي بلقاسم (القصر)،والتي هي عبارة عن امتداد لزاوية سيدي بلقاسم بتوات، يعود نسب سيدي بلقاسم إلى سيدي الحاج محمد الصالح بن عبد الكريم البلبالي، المنحدر من أصول علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (جلولي ،2022 ،مقابلة)

والده سيدي الحاج محمد الصالح ترعرع بقصور فنوغيل بتوات الوسطى، ما لبث أن شد رحاله إلى قصور أولف و مطريون بالتيديكلت الغربية ليستقر بعين بلبال، كان زاهدا ناسكا مهتما بعلوم الدين والقرآن الكريم، خلف أربعة أولاد وهم عبد الله و عبد القادر و الطالب محمد المعروف بسيدي محمد النية، و بلقاسم صاحب الضريح.(جلولي، 2022 مقابلة)

وحسب ما تتداوله الذاكرة بقصر الزاوية أن مولده كان بقصور عين بلبال، حيث نشأ بعيدا عن أبيه الذي كان يقطن بتوات الوسطى، و عند شبابه ظهرت عليه خصال وكرامات، فأشار عليه والده بأن يذهب إلى منطقة (الزاوية حاليا) حيث سقطت الحجر الذي ألقاه أبوه ليستقر بها فيها، تزوج وأنجب ولدين و هما السباعي، و محمد الصالح. وهنا من ارود بان له ثلاث بنات و ولد(جلولي ،2022، مقابلة)

كَرس محمد الصالح وقته في تعليم القرآن الكريم وعلوم الدين وكان من أعلام المنطقة وركائزها، فبلغ درجة الولاية (المرابط) (سعد الله، 2007،ص263)، فأصبح من أبرز أوليائها الصالحين، ومن بين آثاره تأسيسه لمدرسة قرآنية ومسجد في حدود القرن7هـ/13م، مع قدوم أبيه من الحج، وقد اعتبر ذلك المسجد من أبرز المساجد المبكرة

بقصور عين صالح كمسجد اقسطن، والدغامشة، كما ترجع الروايات الشفاهية المتداولة بالمنطقة ان وفاته كانت في غرة شهر شعبان ودفن بمقبرة الزاوية.(جلولي،2022، مقابلة) وهكذا أصبح أحفاده يقيمون ذكراه في آخر خميس من شهر شعبان من كل سنة .

3.2.4 الوصف العام للضريح :

يأخذ ضريح سيدي بلقاسم الشكل الهرمي ذي القاعدة المستطيلة، والبدن المتراجع للداخل كلما ارتقى البناء، إلى أن يضيق و يلتحم في الأعلى حيث قمة الهرم الذي تعلوه مباشرة كرتان من الطين ملتصقتان على هيئة قبتين، يبلغ طول الضلع على مستوى القاعدة حوالى (5.25م×3.10م)، ويبلغ سمك الجدار فيه 0.45م ، فتحت على مستوى الجدارين الشرقي و الغربي فتحتان متقابلتان، كما يوجد بالجدار الغربي باب خشبي صغير الحجم طوله 1.20م،أما عرضه 0.60م مزود بقفل تقليدي مصنوع من الخشب أساسه قطعة من الخشب يتم تمريرها عبر فتحة بالجدار لتمنع فتح الباب و تسمح بذلك من خلال انزلاق هذه القطعة الخشبية بدفع يدوي يعرف هذا القفل (بأفكر). بنيت جدران المبنى من اللبن وتم تلبيسها من الداخل بطبقة من الملاط الطيني أما من الخارج فتم تلبيسه بطبقة سميكة من الملاط و تبرز على مستوى الجدران الخارجية نتوءات تستعمل لتسلق الضريح يوم زيارته السنوية وذلك بغية طلائه بمادة الجير، تظهر بعض اللمسات الزخرفية الهندسية البسيطة من أشكال هندسية قوامها مثلثات متعاكسة و هي شبيهة بتقنية البناء القديمة من طوب يدوي وقطع التبشمت، وهي عبارة عن جبس يتم جلبه من الطبيعة .

يوجد بداخل الضريح ثلاثة قبور، احدها للولي الصالح سيدي بلقاسم وآخر لنجله، أما القبر الثالث فيجهل صاحبه. أنظر (الصورة رقم 04)

الصورة رقم 04: تبين ضريح سيدي بلقاسم بالزاوية

المصدر: عمل الباحث

3.4 ضريح سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد :

1.3.4 الموقع الجغرافي :

يقع ضريح(خلوة) سيدي عبد القادر بن محمد بمنطقة فقارة الزوى شرق مدينة عين صالح على بعد حوالي 40 كلم ، احداثياته الجغرافية 45'21°27" شمالا و 22'51°2" شرقا أما الارتفاع فهو 3.03 م، يتموضع الضريح شرق بلدة فقارة الزوى بالتحديد في المقبرة حيث يقوم المبنى الجنائزي المجسد لروح الولي الصالح سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد .

2.3.4 التعريف بصاحب الضريح:

هو الشيخ أبو سليمان سيدي محمد عبد الرحمان بن زيان واسمه محمد بن عبد الله بن العربي بن أبي سماحة بن عبد القادر بن عيسى الأعرج، والشهير بسيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة سليل الشجرة البكرية الصديقية، ينحدر من بيت علم وصلاح و دين ينتمي نسبه إلى بيت الصحابي الجليل أبي محمد عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق . سيدي عبد القادر بن محمد من مواليد ضواحي الشلالة الظهرانية سنة 940هـ أسلافه قدموا من شبه الجزيرة العربية ومرورا ببغداد أيام أبي جعفر المنصور، ثم انتقلوا إلى صعيد مصر حوالي القرن 09هـ ومنهم من ذهب إلى تونس حيث مكثوا فيها قرابة القرنين من الزمن ثم انتقل جده سيدي معمر بن عالية بن سليمان نواحي جربة

في حدود القرن 08 هـ و بقي هناك مدة ثم انتقل إلى تلمسان .(طواهرية،2005،ص140-141)

يعتبر سيدي عبد القادر بن محمد من أجل العلماء، حيث درس أولا على يد أسرته و والده وأدرك عمه سيدي أحمد المجذوب وجملة من العلماء خاصة حاضرة فڤيڤ بالمغرب ، عرف سيدي عبد القادر بن محمد بصلاحه و علمه ومناقبه العديدة و المتعددة و حبه للعلم ،فأنشأ زوايا عديدة للعلم و لإكرام عابري السبيل. ضريح الولي حسب ما تتداوله الذاكرة أنه موجود بالأبيض سيدي الشيخ، أما المعلم المرتبط به في منطقة فڤارة الزوى فهو خلوة كان يتردد عليها ودفن فيها الآن أحفاده من بعده .(طواهرية،2005،ص142)

3.3.4 الوصف العام لضريح (خلوة) سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد:

يتخذ المبنى شكلا مربعا يبلغ طول الضلع فيه حوالي 4م طولا و 3.20 م عرضا،فتح مدخله من الجهة الغربية، بني الضريح بمواد محلية من اللبن والملاط الطيني بشكل سافات متناسقة، تم تسقيفه بمواد محلية كما هو الحال عليه بالنسبة لنمط البناء المحلي الذي أساسه جذوع النخيل و الكرانيف، تم تلبيس الجدران من الخارج ومن الداخل بطبقة من الملاط الطيني ، كما تم طلاء المبنى بطبقة من الجير ويتم تجديدها كل سنة اثناء الاحتفال بذكرى الشيخ .انظر (الصورة رقم05)

الصورة رقم 05: تبين ضريح خلوة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد فڤارة الزوي

المصدر: عمل الباحث

5 مميزات أضرحة قصور عين صالح:

من خلال ما تم التعرض له من نماذج لأضرحة منطقة عين صالح يمكن أن ننمطها بين أضرحة وخلوات، فالأضرحة هي التي تضم قبور أصحابها كما هو الحال عليه بالنسبة للولي الصالح سيدي بلقاسم وسبعين صالح و سيدي الحاج أمحمد بالساهلة، وسيد عبد الوهاب بالبركة على سبيل المثال لوحدة التصميم، أما الخلوات كما هو الحال عليه بالنسبة لخلوة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد بفقارة الزوى، خلوة هنو وغيرها كذلك من الناحية الشكلية يمكن القول بأنها ذات تصميم هندسي يغلب عليه النمط الهرمي، كما هو الحال عليه بالنسبة لضريح سيدي بلقاسم بالزاوية والنمط المربع كمل هو الحال عليه بالنسبة لضريح سيدي الشيخ بفقارة الزوى، وخلوة هنو بالساهلة الغربية أنظر (الصورة رقم 06) ويكثر هذا النمط من الأضرحة المربعة في مناطق بلدة القصر بمصر (شهاب، 2001ص194) كما وصف بن بطوطة تلك الاضرحة بأنها أضرحة مربعة (ابن بطوطة، 2011،ص24) أنظر (الشكل رقم 02)، أما الطراز الثالث و الفريد من نوعه يتمثل في ضريح سبعين صالح بن عزي بقصر المرابطين والذي يمتاز بخاصية المجمع الجنائزي و ذلك من خلال المرافق والملحقات المتصلة بالضريح الرئيسي،إضافة الى ذلك نجد بأن بناء هذه الأضرحة كان بسيطا انطلاقا من مواد محلية من طين وطوب بالنسبة للبناء الرئيسي، وجذوع النخل و الكرانيف بالنسبة لتسقيف الأضرحة المربعة أما الأضرحة الهرمية فتجمع الجدران الأربعة في أعلى البناية لينغلق المبنى دون الحاجة لتقنية تسقيف بالخشب، انظر (الصورة رقم07)، أما بالنسبة للجانب الزخرفي فنجد الزخارف نادرة في هذه الأضرحة الصحراوية مقارنة بمثيلاتها في شمال البلاد، التي نجد فيها بعض الملامح الزخرفية من كتابات وأشكال هندسية .

الصورة رقم 06: تبين تقنية التسقيف الهرمي للأضرحة بقصور عين صالح

الشكل رقم 02 يبين مخطط مربع لضريح الشيخ احمد بن مبارز بمصر

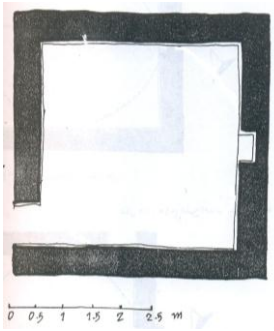

المصدر:عمل الباحث

المصدر: عن شهاب،ص450

الصورة رقم 07: تبين تقنية التسقيف الهرمي بالأضرحة الهرمية بقصور عين صالح

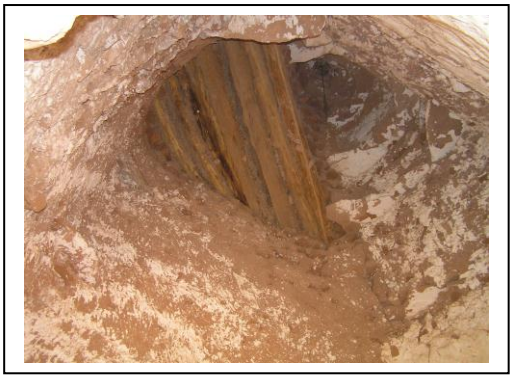

المصدر:عمل الباحث

6. خاتمة:

من خلال دراستنا لنماذج من أضرحة منطقة عين صالح يمكن الخروج باستنتاج مفاده بأن ظاهرة الأضرحة و بنائها قديمة لكنها تعود إلى الفترة الإسلامية من خلال إقامة هذه المقامات أو القباب أو الأضرحة على من كان لهم الفضل و التميز بين ذويهم من المشايخ و العلماء و الصالحين ، منهم من ينتسب إلى أسر شريفة النسب ومنهم من باقي القبائل من عرب و مرابطين و زنوج، الرابط بينهم مكانة صاحب الضريح و محاولة من ذويه بتمثيله و استدامة خبره رغم فنائه .

فقد ولدت لنا رمزية الصالحين من المشايخ والعلماء ظاهرة بناء الأضرحة وبالتالي تنوع أشكالها و أماكنها تبعا لمكانة صاحبها وكذا تبعا لمكانة أحفاده من بعده أضف إلى ذلك المخيال القوي لسكان قصور عين صالح القائم على الاحترام المطلق لأصحاب الأضرحة و اعتقادهم بحصولهم على البركة و النفع من خلال إحياء ذكراهم ، ذلك ما خلق أنماطا مختلفة من المباني الجنائزية فوق القبور من هرمية و مربعة و مختلطة بين التربيع و المخروطي و منها الرمزي و المقدس .

أما من الناحية الأثرية فيمكن القول بأن أضرحة قصور عين صالح بسيطة التصميم و الإنشاء، نادرة الزخارف ، هدفها تجسيد رمز الشيخ مع الابتعاد عن اللمسة الفنية، و إن وجدت فهي عبارة عن أشكال هندسية بسيطة . وكغيرها من مناطق الجزائر يحيي أهالي قصور عين صالح مناسبات سنوية مقترنة بأصحاب الأضرحة، وجعلوا منها أعيادا سنوية يحضرها الأتباع و المريدون كل حسب اعتقاده فمنهم الباحث عن الفضول العلمي و منهم السائح و منهم المفتون الطبوع الفنية والفلكلورية التي تجرى في هذه المناسبات و من يطلبون البركات و كل حسب اعتقاده .و يبقى هذا النمط من التراث الأثري في حاجة ماسة إلى الصون و الدراسة و التمحيص لارتباطه بالمجتمع الحي الذي يحيي ذكرى من كان حيا.

المراجع

1أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 (المجلد ج1). الجزائر، الجزائر: دار البصائر.

2ابو عبد الله محمدبن ابراهيم اللواتي ابن بطوطة. (2011). رحلة ابن بطوطة (الإصدار الطبعة الرابعة). بيروت: دار صادر بيروت.

3أبي الفضل جمال الدين ابن منظور. (دت). لسان العرب (المجلد 2). بيروت: دار صادر.

4أحمد توفيق عبد الجواد. العمارة الإسلامية، فكر و حضارة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

5أحمد زغب. (2008). القبور و الأضرحة معالم أثرية ثقافية منقولة (الإصدار الطبعة الاولى). الوادي، الجزائر: مطبعة مزوار للنشر و التوزيع.

6أحمد عاشور. (2017)." الطريقة الصوفية مفاهيمها و ملامحها". مجلة الساورة للدراسات الإنسانية و الإجتماعية (صفحة ص164). بشار: جامعة طاهيري محمد بشار.

7أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي. (2011). ماء الموائد (المجلد المجلد الاول). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية بيروت .

8 جلولي الحاج (2022) تاريخ الولي سيدي بلقاسم .حي الزاوية جويلية 2022 (مقابلة)

9سعد عبد الكريم شهاب. (2001). بلدة القصر و اثارها الاسلامية (الإصدار الطبعة الاولى). القاهرة، مصر: دار الافاق العربية.

سعيد حامد.

10 عباس عبد اللّه. (20 افريل, 2007). تاريخ سبعين صالح (مقابلة، المحاور) عين صالح .

11عبد الرحيم العطري. (2014). بركة الأولياء، في المقدس الضرائحي (الإصدار الطبعة الاولى). الدار البيضاء، المغرب: شركة النشر و التوزيع المدارس.

12عبد القادر قرمان. (المجلد 07 العدد 02/2021, 2021). "الاضرحة بمدينة معسكر في الفترة العثمانية". مجلة الساورة للدراسات الانسانية و الاجتماعية ، ص 168. بشار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، الجزائر: جامعة بشار.

13عبد اللّه عطية عبد الحافظ. (2005). الأثار و الفنون الإسلامية. القاهرة: جامعة المنصورة.

14عبد اللّه طواهرية ،(2005) "قواعد الشيخ رزوق خلال اثار الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد" الملتقى السنوي السادس عشر، زاوية سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد. عين صالح

15عكاشة ثروت. (1994). القيم الجمالية في العمارة الإسلامي. القاهرة: دار الشروق الأولى.

16علي نابتي. (2008). المقدس و أثره في تكوين القصور (الإصدار مديرية الثقافة بشار). الجزائر، الجزائر: دار الهدى للطباعة و النشر.

17كمال الدين سامح. (2000). العمارة الإسلامية في مصر (الإصدار ط1). القاهرة: دار نهضة الشرق للطباعة و النشر و التوزيع.

18كونل أرنست. (1966). الفن الإسلامي. (أحمد موسى، المترجمون) بيروت: دار صادر.

19محمد البشير شنيتي. (2013). الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة. الجزائر، الجزائر : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

20محمد السيد محمد ابو رحاب. (2008). العمائر الدينية و الجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين. القاهرة، مصر: دار القاهرة.

21محمد باي بلعالم. (2011). الرحلة العلية إلى منطقة توات (الإصدار طبعة خاصة، المجلد المجلد2). الجزائر، الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع.

22محمد علي أحمد رجب. (2004). تاريخ و عمارة المزارات و الاضرحة الاثرية في الهند (الإصدار الطبعة الاولى). القاهرة، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية.

23يحي وزيري. (1999). موسوعة عناصر العمارة الإسلامة (المجلد الكتاب2). القاهرة، القاهرة: مكتبة مدبولي.

24Dida BADI .(2004) . *Les Régions de l'Ahaggar et du Tassili n'ajjer* Anep .(Alger ،Algerie : Ed ANEP.